مقياس علم النفس اللغوي: ماستر 1 لسانيات عربية

المحاضرة السابعة:

نّظريات التعلم في ضوء علم النفس اللغوي (2)

الأستاذة وهيبة بن حدو

ثانيا: النظريات الوظيفية: Théories fonctionnelles

إنّها نظريات تعلّم اعتمدت السلوكية أيضا، لكن بطريقة تختلف عن ما اعتمد في النظريات الارتباطية، لذلك وردت مختلفة عنها في كثير من الأسس و الوسائل الإجرائية و خاصة في المفاهيم، فلم تختصر التعلّم في عاملي المثير و الاستجابة؛ بل ركزت على جوانب أخرى و خاصة المعرفية منها، إضافة إلى تركيزها على جوانب عقلية أخرى. إنّ التعلّم بالنسبة لهذه النظريات ليس مجرّد إقامة علاقات أو ارتباطات بين المثير و الاستجابة بل هي تحاول أوّلا تضمين بعض المفاهيم المعرفية في التحليل السلوكي و لا تستبعد الأحداث العقلية مثل التفكير و التخيل و تصرّ على اعتبارها أنواعا من السلوك. و يطلق على هذه النظريات كذلك اسم النظريات الإجرائية.[1]

و من أهمّ هذه النظريات: نظرية سكينر Skinner الإجرائية، و نظرية الحافز عند هيل Hull

1-نظرية سكينر الإجرائية Théorie de conditionnement Opérant (opérationalisme)

هي نظرية اعتمدت السلوك موضوعا لها، و أخذت بعين الاعتبار ما يطلق عليه بالأحداث الخاصة أو الأحداث العقلية كالتخيّل و التفكير، متجاوزة بذلك حصر التعلّم في ثنائية المثير و الاستجابة و الارتباط بينهما. لذلك نقول إنّ "النظرية الإجرائية هي شكل آخر من أشكال نظرية التعلم السلوكية و لما كانت هذه النظرية نسقا منتظما لأبحاث علم النفس

[1] -نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص53

فإنّه يشار إليها باسم التحليل التجريبي للسلوك و يطلق على الذين يقومون بهذا التحليل اسم محلّلي السلوك."[2]

لقد ركّز سكينر Skinner في نظريته على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: ردود الفعل الاستجابية، المعززات و المعاقبات، و الإجراءات المميزة، و اقترح أن ينظر إلى أيّ وحدة اختباريّة ناتجة عن علاقة مثير و استجابة على أنّها انعكاس. و من ثمّة فإنّ الدارس السلوكي ليس من اهتمامه الآليّة الداخليّة للسلوك، ما يعنيه فقط هو السلوك الظاهر الذي يمكن لنا ملاحظته و إخضاعه للتجربة و الاختبار بناء على مظهره و ليس على آلياته الداخليّة.[3]

يكتسي التعزيز أهمّية بالغة في إجرائية سكينر Skinner، كونه يسهم في تقوية الاستجابة التي تستدرج عن طريق المكافأة و الجزاء و التعزيز عنده هو"حدث من أحداث المثير إذا ظهر في علاقة زمنية ملائمة مع الاستجابة فإنّه يميل إلى المحافظة على قوة الاستجابة أو زيادة هذه القوة أو قوة العلاقة بين المثير و الاستجابة أو العلاقة بين مثير و مثير."[4]

ما يلاحظ في نظرية التعلم هذه هو تحديد نوعين من أنواع السلوك الاستجابي و السلوك الإجرائي و تدعيمهما بمفهوم أساسي هو التعزيز.

2- نظرية الحافز للعالم هيل Mhétode du stimulant de Hull :

هي امتداد للنظريات السلوكية من جهة و النظريات المعرفية من جهة أخرى، و هي نظرية قامت على الإشراط الكلاسيكي و الوسيلي، عرفت بشموليتها و انطلاقها من المواقف البسيطة، و يلاحظ فيها تأثر ببعض مقولات سابقيه خاصة ثورندايك Thorndike و بافلوف Pavlov . و "يعتقد هل أنّ التعلّم هو عملية اكتساب عادة تتكون بالتدريج عن طريق تكوين رابطة شرطية بين مثير و استجابة ترضي الكائن الحي و تشبع فيه حاجة ما و لذلك فإن الوحدة السلوكية الأساسية عنده هي قوة العادة."[5]

يقيم هل نظريته على مجموعة من المفاهيم التي منها: قوة العادة، باعث الحوافز الثانوية، دينامية شدّة المثير، جهد الاستجابة، قوة العادة المعمّمة، جهد الكفّ المجمع، التذبذب السلوكي، التعزيز الأولي، عتبة رد الفعل، التعزيز الثانوي.

---

[2] -مصطفى نايف، عطيه محمود هنا، نظريات التعلم، ص127

[3] -أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص59

[4] -ستيوارت هولس و آخرون، سيكولوجية التعلم، ص30

[5] - نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص57

و لعل أهمّ مفهوم عنده هو مفهوم الحافز الذي سميت النظرية باسمه و انطلاقا من ذلك يرى " أنّ التعلّم يحدث من خلال تكيّف الكائن بيولوجيا مع البيئة المحيطة به بطريقة تمكّنه من العيش. و شعور الكائن بالحاجة يعني أن هذا العيش لا يحظى بما يستحقه من الاهتمام. و من هنا تظهر الحوافز الأوليّة الرئيسية مثل الجوع و العطش. و عند ظهور هذه الحواقز فإنّ الكائن يبدأ في العمل أي الاستجابة لهذه الحوافز."[6]

ما يمكن أن نقوله و نحن نتحدّث عن هذه النظريّة إلاّ أنّها و باعتراف المتخصصين كانت أكثر النظريات تجسيدا للمنهج السلوكي العلمي " و يمكن اعتبار نظرية هيل نموذجا للمنهجية الدقيقة الذي يراه هيل كأسلوب لتطوير النظرية و قد سمي أسلوبه بأسلوب الاستدلال الفرضي."[7]

ما ينبغي الإشارة إليه أنّ هيل قد تأثر بمفهوم النشوء و الارتقاء بحيث رأى أنّ وظيفة السلوك هو تأكيد للحياة العضوية للإنسان و الحيوان. و قد ارتبطت نظريته كثيرا بالحاجات البيولوجية و حاجات الإشباع. و ما نخلص إليه هو أنّ هيل " و إن لم يستطع بلورة نظرية شاملة لتفسير التعليم الاّ أنّه كان الملهم للكثير من الأبحاث كما ساهم في بناء نظام للحقائق التجريبية أكثر بكثير مما فعل غيره من أبناء عصره."[8]

---

[6] – نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص57

[7] –محمود قماطي، نظريات التعلم و التعليم، ص92

[8] – نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص59